

في الأدب الإنجليزي

## ٣- الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

لم يحاول شكسبير اظهار شخصيته من خلال رواياته ، ولكن كارليل يقول عنه : « إن روايات شكسبير هي كنواذف متعددة يظهر من خلالها ما كان يدور في نفسه من الأفكار والخواطر » . ومن كل رواية من رواياته يمكننا أن نتبين الحالة العقلية التي كان فيها لما أنشأها وكتبها ، ففي هملت لم يكن تفكيره محصوراً إلا في البحث في الأشباح ، بينما كان في مكبث مشتغلاً بالسحر والسحرة

وفي كل من روايته تتحقق النبوءات التي تتنبأ بها الأشباح والساحرات . ولكن هناك ثمة فرقاً ضئيلاً بين كل من الروايتين ، وذلك الفرق هو أن نبوءات الشيخ في هملت هي من أمور الماضي بينما هي في مكبث من أمور المستقبل وقد قال جيسن عند كلامه عن العاصفة ما يؤكد هذه النظرية ، فهو يقول : « هل كان في استطاعة شكسبير أن يجعل من جميع هذه النبوءات الخيالية حقائق راهنة إن لم يكن يعتقد الاعتقاد كله بهذه الأمور من عالم الخيالات والأشباح ؟ » (١)

وفي رواية الملك هنرى الرابع ترى هتسبر (Hotsper) يمارض اعتقاد جلندور (Glendower) أن في استطاعته أن يسخر الأرواح والشياطين في مهامه الخصوصية ، فهو يتحدثاه بقوله : « إنك تمتد أن في إمكانك غاطبة الأرواح ولكن هذا في استطاعتي أنا وفي استطاعة أى رجل آخر . وقد قاتك ياهنا أنها لا تجيبنا عند ما ندعوها أو نخطبها »

وهذا الشك لا يلبث أن يزول عند ما يقدم جلندور البرهان الكافي فتخطبه الأرواح كأنه فرد من أفراد جنسها ؛ وهذا الاعتقاد بالخرافات كان مستولياً على شكسبير لدرجة عظيمة حتى إنه كان يضع المحبين والمجانين والشعراء في مصاف من يستطيعون

الاتصال بالعالم العلوى ، وفي رواية هنرى السادس نراه يجمع بين ما هو في عالم العقائد وما هو في عالم الخرافة ، وقد لخص عقيدته في رواية هملت إذ يقول : إن هناك في السماء أموراً عدة يا هوراثيو Horatis مما ليس في استطاعة العالم البشرى فهمها أو التفكير فيها «

أو حين يقول في رواية أخرى :

« يقولون إن زمن المعجزات قد انتهى وأن لنا أن نفكر في كيانتنا الفلسفي فقط فنجد من الخرافات مسائل عصرية يقبلها العقل ويسينها النطق . ولما كنا نستهزي بالخوف والأشباح متمترين برداء من العلم والمعرفة فملينا ألا نكون عرضة لخوف غير مرئية وهذا مما لا يتأتى لنا » (١)

إن في استطاعتنا أن نستنتج من هاتين الفقرتين السابقتين أن شكسبير كان يؤمن بالخرافات والغيبيات ، فهناك عدد غير قليل من الأمور التي ليس في استطاعتنا فهمها أو التعبير عنها . فلا يمكن مثلاً انكار وجود عدد من المعجزات التي يكثر حدوثها فوق ظهر هذه البسيطة ، وما العالم العلوى إلا محيط لا يمكننا حل ألغازه وتفهم معانيه . فان من طبيعة البشر أن يكونوا خاضعين لعالم غير عالمهم مجهولته وبخافونه ، وما المحاولات التي يقوم بها العلماء لاستناد كل ظاهرة طبيعية إلى تاملها العلمى إلا محاولات خالية من الاقتناع وطريق البرهان

قلنا إن شكسبير كان يؤمن بمدد من هذه المخلوقات الغيبية ، وقد جمعا في رواياته عاولا اظهارها بصور رائحة من الخيال والسمو الفكرى ، وأولى هذه الأنواع وأهمها هي ظاهرة الجنيات الجنيات (Fairies)

إن هذه الجنيات هي بقايا المبودات والآلهة المحلية التي كانت سائدة على القرى الانكليزية في عصر من العصور ، وما العقيدة الشائعة أن هذه الجنيات قد تسلمت من الآلهة اليونانية والرومانية القديمة إلا حديث خرافة لا أصل له من الصحة والصدق . وهناك نفر غير قليل من النقاد يرجعونهم إلى أصل بشرى ، فاهن إلا ذرية سكان بريطانيا الأقدمين الذين طردهم الكات عند استيلائهم على البلاد ، فلم يجدن غير الغابات ملجأ يلجأن اليه ومكاناً يستظمن العيش فيه مدة حياتهن

(1) Bll is Well . . . II 3 . 1

(1) Gibson Sh Use of the Supernatural P. 6

الأسماء وهو بك (Puck) فهو رسول الملك وحامل أوامره  
في الفقرة السابقة رأينا الملكة ماب بحجم صغير ، ومن هذا  
يمكننا أن نستنتج أن الجنيات ذوات حجم ضئيل ، وقد وصفهن  
شكبير في رواية الماصفة بقوله « حينما تهبط التحل أهبط أنا  
وفي استطاعتي أن أنام داخل جرس من الأجراس فأتلخص من  
نميق الترابان والبوم » . وقد يتمكن من الظهور بحجم أصغر  
فيختفين داخل كؤوس الشراب

ولا ينتظر من هذه المخلوقات الضئيلة إحداث أسرى سيء  
لل بشرية لولا أنها في نزاع دائم مستمر . نعم إن صفاء نيتهم كان  
سبباً في خلق بعض الآلام إلا أنهم كمن لا يلبث أن يزلن  
ما أحدثن بمهارة وروية . وكثيراً ما تراهن يتماطين المزاح فيروعن  
فتيات القرية ويخفنهن فرأينا إيموجن (Imogen) في ممباين  
Cymbeline) تخاف هذه المخلوقات وتسال وصيفتها أن تلازمها  
لتجملها منهن فهي ترجوها قائلة « أرجوك حمايتي من الجنيات  
ودلاج الليل »

ولكننا تراهن في الغالب يحفزهن حب الخير وعمله فيقمن  
بأعمال حجة لفائدة البشرية ونفعها ولا يمدروبن هود (Robialhood)  
إلا فاعلاً من فعلة الخير وسريده . فهو يتلقى الأوامر من مليكة  
ويعرضها على أفراد الشعب وهو يستمع إلى أيرون حين يقول :  
« على كل جنى أن يقف بالباب المين له ، وعليه أن يبارك من  
في الغرفة ويدعو لهم بالسلام والطمأنينة » . وكثيراً ما دعت  
الجنيات للأزواج الحديديين المهدي بالسرور والبركة وتلقفن أطفالهم  
بين الرقاية والمغلف حتى يشبوا ولم يعرفوا الألم قط . وهاهو  
أيرون يقول « دعنا نذهب إلى فراش كل عروس جديدة فنباركها  
فتلد غلاماً يلزمه السرور وترعاه العناية »

خيرى محمد

( يتبع )

ظهر هريثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للاستاذ عبد الله القصيمي النجدي

فيه بيان الأغلاط الطيبة والدينية الواقعة في كتاب

هيكل ( حياة محمد )

ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ ملياً

القادمة ، وأصبحن يعرفن فيما بعد بالجنيات

وهذه المخلوقات العجيبة كانت على أنواع عدة ، فمنها ما هو  
أسود اللون ، ومنها ما هو أخضره أو أبيضه أو رماديه ، وفي  
كثير من الروايات يصفن شكبير ، فهو يقول في موضع  
من روايته ( نساء وندسور المرحات ) واصفاً لياهن بقوله : لهن  
سوداوات اللون أو رماديات أو خضراوات أو بيضاوات

وكن لا يخرجن إلا في غسق الليل ، فيمقدن مجالس الأنا  
والطرب تحت ظلال الأشجار ، بينا أهل الأرض نيام . وفي  
( الماصفة ) نرى بروسبيرو يخاطب إحدى هذه الجنيات قائلاً :  
« ستخرجين الليلة ويصيك فيها برد شديد ، قد يؤدي إلى تشنج  
في أعصابك فتألمين منه أشد الألم ، وستحيط بك الجنيات في  
الليل فينفذن فيك ما لهن من قوة »

تعيش الجنيات في الحقول المغطاء بالأزهار والرياحين ، أو في  
الأماكن الخلفية من اليابسة والماء ، سيان عندهن التلال  
والوديان ، الغابات والروج ؛ وكثيراً ما تراهن بمجوار الينابيع  
وضفاف الأنهار ؛ أو في أعماق المحيطات والبحار ، وقد وصف  
الشاعر أحد هذه الأمكنة بقوله : « إنى لأعرف شاطئاً تهب  
عليه الرياح ، وتنبث فيه أزهار الياسمين والزنبق عاطلة بالورود  
الجيلة المنظر » أما الملكة فهي تود الاجتماع في جميع الأماكن  
التي اعتدن فيها للقاء ، فهي تلتقى الأوامر على أفراد رعيها قائلة :  
« لتلقن على التلال أو في الوديان ، بجانب الينابيع الرضوفة ،  
وعلى شواطئ الأنهار الذهبية ، أو في أعماق البحار الرملية ،  
وهناك محتفل برقصنا على موسيقى الرياح الهامجة »

إن أشهر أسماء هذه الجنيات التي ذكرها شكبير في  
رواياته ثلاثة أولها أيرون (Oberon) الذي يعتبر ملكاً  
على هذه الطائفة من المخلوقات ؛ أما تيتانيا (Titania) فكثيراً  
ما يطلق عليها اسم الملكة ماب (Queen Mab) وهي تعتبر باعثة  
للأحلام كما يظهر من رواية روميو وجوليت : « انى لأعتقد أن  
الملكة ماب كانت ملكة وهي وسيطة الجنيات وملكتهن لا يزيد  
حجمها على حجر صغير أو إصبع من أصابع الرجال ، وكثيراً  
ما تصبح بشكل ذرة ترتكز على أنوف الناس عند نومهم » فهي  
تبث الأحلام والأخيلة اللذيذة ، ولكنها لسوء حظ البشر  
في صراع دائم مع زوجها الملك أيرون ، ومن هذا الصراع قد  
يتأتى ما يتأتى من الشرور والأضرار لبني البشر . أما آخر هذه